الاختلاف في القراءات القرآنية

وأثره في المعنى

عند السمين الحلبي في "الدّر المصون"

دراسة في سورة البقرة

إعداد

م.م. سوزان عبد الواحد عبد الجبار

قسم اللغة العربية في كلية الآداب

جامعة الأنبار

ملخص البحث

إنَّ لقراءات القرآنية المتواترة كلّها في مرتبةٍ واحدةٍ من الرفعةِ، وإنّما نشأت تعتمدُ السماع والمشافهة أساساً لها في تأديةِ غرضها الذي قامتْ من أجلِهِ، وهي نوعان:

منها ما هو متواترٌ، أجمعت الأُمةُ على توثيقةِ، وعددها سبع أو عشر، ومنها ما هو شاذ، وتصل إلى أكثر من عشرين قراءة، إذ كلها ثابتة ومُتلقاة عن النبيّ (صلّى الله عليه وسلم)، إذ كلّ وجهٍ من أوجهِ القراءةِ هو بمثابةِ آية مستقلة في تكاملها الفكري، ولا تظهر حقيقة المعاني القرآنية في الآيات الكريمات بكمالها إلّا بالجمعِ بين أوجه القراءات الثابتة عن النبيّ (صلّى الله عليهِ وسلّم).

فاختلاف القراءات القرآنية الواردة عند السمين الحلبي في "الدّر المصون"، ذات المعاني أو الصور البيانية المختلفة قد تضمنت إثبات وجوه نحوية عربية مُتكافئة في النص الواحد، تؤدي كلّ قراءة معنى لا تؤديه القراءة الأُخرى، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات، وتؤدي القراءات المختلفة تكاملاً بيانياً وفكرياً في المعاني المقصودة جميعاً.

ABSTRACT

All the Qura'anic recitations are in the same class of elevation. They are found depending on oral and aural foundation to perform their purpose that they are made to. They are of two types: There is what is called the successive recitation that all Umah (Muslim people) approved in their documents; they are seven or ten recitations. The other type is called the irregular (Al'shath) which is about twenty or more recitations, and all of them are fixed as they are taken from the prophet Muhammad (peace be upon him). Besides, all of them are independent in their ideological perfection as their Qura'anic meanings can not be revealed in Qura'anic Verses without gathering the assured types of recitations of the prophet (peace be upon him).

Hence, the different cited Qura'anic recitations narrated by AL-Sameen AL-Halabi in AL-Dor AL-Masoon have different meanings and significant images that include a proof of Arabic grammatical aspects in the same context, so that every recitation performs a meaning that the other does not. The two recitations or more will stand for the multiple Ayahs (Verses) and the different recitations will perform ideological and eloquent perfection of the

intended meanings.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، أحمد بكل محامده، على ما هو له من أسماء وصفات وكمالات لا تتناهى، وعلى تنزهه عن كل ما لا يليق بربوبيته وألوهيته وأزليته وأبديته ووحدانيته، والحمد له على رحمته التي رحم بها كل خلقه، والحمد له بكل محامده على فضله وإكرامه، وجوده وإنعامه وفتحه وإلهامه، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين...

وبعد فقد حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين، منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فلقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا الكتاب، وأفنوا أعمارهم بتتبع كل صغيرة وكبيرة حول هذا العلم، وسطروا ما جادت به عقولهم وأفكارهم في مؤلفات أصبحت مفخرة المسلمين ومضان الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف. (1)

والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجد أن الدرس العربي قد تأثر تأثرا واضحا بهذه المؤلفات، إذ لا يكاد يخلو كتاب في أصوات العربية وصرفها ونحوها من جملة كبيرة من القراءات القرآنية، وما يتصل بها من مسائل مثلت القواعد والضوابط التي أصلت ورفدتها مفردات هذه العلوم التي سطرها علماء المسلمين. (2)

فمن المعروف تاريخيا أن القراءات القرآنية إنما نشأت تعتمد السماع والمشافهة أساسا لها في تأدية غرضها الذي قامت من أجله وهي نوعان: منها ما هو متواتر أجمعت الأمة على توثيقه، وعددها سبع أو عشر، ومنها ما هو شاذ، وتصل إلى أكثر من عشرين قراءة، ويقف السمين الحلبي (ت 756هـ)، من مجمل هذه القراءات موقف الالتزام بها واحترام ما جاءت به، فإن كانت من قبيل التواتر قبلها قبولا تاما، ولم نره يسلك سبيل المنتقدين لبعض حروفها ولو مرة واحدة، فكان يقف في خط مقابل من كثير من النحاة، كالنحاس وأبي حاتم والزجاج والزمخشري، أولئك الذين سهل عليهم أن يسرعوا إلى تخطئة القراءة السبعية المتواترة عندما يخيل إليهم عدم

جريانها على صناعتهم النحوية أو اللغوية.

أما القراءة الشاذة، فكان السمين الحلبي فيها على خط الالتزام والمحافظة، يحاول أن يدافع عنها بكل ما أوتيه من ثقافة واسعة بقواعد اللغة وأصولها وشواهدها[3].

ومن منهج السمين الحلبي في القراءات القرآنية في كتابه الدر المصون، أنه يحاول أن تكون ثمة وحدة معنوية صناعية متكاملة بين القراءات المتعددة للكلمة الواحدة؛ لأن الأصل هو التوافق فيما بينها؛ لأن بعض من له شأن في هذا الباب يحاول أن يرجّح بين القراءات المتواترة، ويَعُدَّ هذه أفضل أو أقوى، وتلك أبلغ أو أجود، ويرفض السمين الحلبي هذا الاتجاه، فيرى أن توجه القراءة المتواترة توجيها يكشف عنها دون التعرض لفكرة الترجيح فيما بينها[4]؛ لأن الاختلاف في القراءات القرآنية حق لا تضاد فيه ولا تدافع بين معاني الآيات، وهذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ (النساء:82).

إن الاختلاف والتنوع في القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وهو ضرب من ضروب الإعجاز، انفرد به هذا الكتاب الكريم، وسأبين في هذا البحث جانبا واحدا من جوانب إعجازه في تعدد قراءاته، وما فيها من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن هذا القرآن بقراءاته كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه (سلسلة واحدة متصلة الحلقات، محكمة السور والآيات، متآخذة المبادئ والغايات، مهما تعددت طرق قراءته، ومهما تنوعت فنون أدائه)[5].

معنى هذا أن نزول القرآن باختلاف قراءاته لا يلزم منه تناقض ولا تضاد، ولا تدافع بين مدلولات معانيه، يسبب اضطرابا واختلافا بين آيات القرآن، بل كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب قبولها والإيمان بها، والعمل بمقتضاها، وفي ذلك يقول ابن الجزري (وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحداً من الأمة رده، ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما

تضمنته من المعنى علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى؛ ظناً أن ذلك تعارض)[6].

وقد بحثت القراءات الواردة في سورة البقرة عند السمين الحلبي في الدر المصون، فظهر لي أن اختلاف القراءات فيها ذات المعاني والصور البيانية المختلفة، القصد منها تكثير المعاني واتساعها لتؤدي تكاملا فكريا بيانيا في المعاني المقصودة جميعا، وفي ذلك يقول ابن عاشور: (على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه، فتكثر من ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات، مجزئا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع)[7].

وهذا ما جعل السمين الحلبي يقول: (وهذا الذي ينبغي أن يفعله الإنسانُ في القرآن، وهو أن يَذْكر لكلِّ قراءةٍ توجيهاً من غير تعرُّضٍ لتضعيفِ القراءة الأخرى، كما فعل بعضهُم)[8].

1. قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة : 10)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في الآية

قرأ عاصم وحمزة والكسائي «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء وتسكين الكاف وتخفيف الذال، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «يُكَذِّبون» بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال[9].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية الكريمة:

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (مَنْ قرأ «يَكْذِبون» مخففاً فهو عنده غيرُ متعَدٍّ لمفعولٍ، ومَنْ قرأه مشدَّداً فالمفعولُ محذوفٌ لِفَهْم المعنى أي: بما كانُوا يُكَذِّبون الرسولَ والقرآنَ، أو يكون المشددُ بمعنى المخَفَّف. وقرأ الكوفيون: «يَكْذِبون» بالفتح والتخفيفِ، والباقون بالضمّ والتشديدِ.

ويُكَذِّبون مضارع كَذَّب بالتشديد، وله معانٍ كثيرة: الرَّمْيُ بكذا، ومنه الآيةُ

الكريمةُ، والتعديةُ نحو: فَرَّحْتُ زيداً، والتكثير نحو: قَطَّعْتُ الأثواب، والجَعْلُ على صفة نحو: قطَّرْتُه أي: جعلته مُقَطَّراً... و «الكذب» اختلف الناسُ فيه، فقائلٌ: هو الإخبار عن الشيء بغيرِ ما هو عليه ذهناً وخارجاً، وقيل: بغير ما هو عليهِ في الخارجِ سواءً وافق اعتقادَ المتكلم أم لا. وقيل: الإخبارُ عنه بغيرِ اعتقادِ المتكلِّم سَواءً وافق ما في الخارج أم لا، والصدقُ نقيضُه، وليس هذا موضعَ ترجيحٍ)[10].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

المتأمل بنص السمين الحلبي في هذه الآية الكريمة بقراءتيها، يجد أن القراءة بالتخفيف معناها أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب كذبهم في إظهار الإسلام والإيمان، وهم في باطنهم كافرون، فهو كاذبون في قولهم ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة : 8).

والقراءة بالتشديد معناها أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب تكذيبهم النبي ﷺ.

يقول الزجاج: (ويقرأ يُكَذِّبون»، فمن قرأ «يَكْذِبون» بالتخفيف، فإن كذبهم قولهم أنهم مؤمنون، قال عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، وأما يُكَذِّبون بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي)[11].

وكلا المعنيين مراد في سياق الآية؛ وذلك لأن المنافقين سيعذبون العذاب الأليم بسبب كذبهم وتكذيبهم.

2. ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (37)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في الآية

قرأ جمهور القراء برفع «آدمُ» ونصب «كلمات»، وقرأ ابن كثير بنصب «آدمَ» ورفع «كلمات»[12].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية الكريمة

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (وقرأ ابنُ كثير بنصْبِ «آدم» ورفعِ «كلمات»، وذلك أنَّ مَنْ تلقَّاك فقد تلقَّيْتَه، فتصِحُّ نسبةُ الفعلِ إلى كلِّ واحدٍ. وقيل: لمَّا كانَتِ الكلماتُ سبباً في توبته جُعِلَتْ فاعِلَةً. ولم يؤنَّثِ الفعلُ على هذه القراءةِ وإنْ كان الفاعلُ مؤنثاً؛ لأنه غيرُ حقيقي، وللفصلِ أيضاً، وهذا سبيلُ كلِّ فعلٍ فُصِلَ بينه

وبين فاعِله المؤنَّثِ بشيءٍ، أو كان الفاعلُ مؤنثاً مجازياً)[13].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

الذي يفهم من نص السمين الحلبي أن ثمَّ فرقا في المعنى بين قراءة الرفع لـ«آدم»، ونصب «كلمات»، وبين قراءة النصب لـ«آدم» ورفع «كلمات»، وهذه المعاني التي تظهرها الآية الكريمة بقراءتيها لا تُستوف إلا بكلتا القراءتين؛ وذلك لأن التلقي استقبال، وهو يكون من جهتين، وكل من «آدم» و«الكلمات» مستَقبِل «اسم فاعل» ومُستقبَل «اسم مفعول» إذ الكلمات التي أُنزلت عليه قد استقبلها واستقبلته، أي: صار بينهما تقابل، فجاءت القراءتان دالتين على هذين المعنيين المتلازمين، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل هذه الكلمات إلى سيدنا آدم عليه السلام، ولعظيم أمرها أسند إليها الفعل، وامتثال سيدنا آدم عليه السلام لأمر الله تعالى، وأنه تلقى الكلمات الإلهية الكريمة ، وعمل بمقتضاها.

فالقراءتان تظهران المعنى مكتملا من دون نقص، ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى؛ فالتوبة التي منَّ الله تعالى بها على سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام في قوله سبحانه وتعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة 37)، كانت ثمرة لأمرين لا ينفصل أحدهما عن الآخر، الأول: رحمة الله سبحانه وتعالى وإرادته تعليم آدم هذه الكلمات وإرسالها إليه، والثاني: تلقي سيدنا آدم عليه السلام لهذه الكلمات وعمله بها.

3. ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (81)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ جمهور القراء: «خَطِيئَتُهُ» على الإفراد، وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر «خَطِيئاتُهُ»[14].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (وقرأ نافعٌ وأهلُ المدينة: «خطيئاتُه» بجمعِ السلامة، والجمهور: «خطيئتُه» بالإفراد. ووجهُ القراءتين ينبني على مَعرفة

السيئة والخطيئة. وفيهما أقوالٌ: أحدُهما: أنهما عبارتان عن الكفر بلفظَيْن مختلفين. الثاني: السيئةُ الكفرُ، والخطيئةُ الكبيرةُ. الثالث: عكسُ الثاني. فوجْهُ قراءةِ الجماعة على الأولِ والثالث أنَّ المرادَ بالخطيئةِ الكفرُ وهو مفردٌ، وعلى الوجهِ الثاني أنَّ المرادَ بالخطيئات أنواعُ الكفرِ المتجَدِّدَة في كلِّ وقتٍ، وعلى الوجه الثاني أَنَّ المرادَ به الكبائرُ وهي جماعةٌ. وقيل: المرادُ بالخطيئةِ نفسُ السيئةِ المتقدِّمة فسمَّاها بهذين الاسمين تقبيحاً لها، كأنَّه قال: وأَحاطَتْ به خطيئتُه تلك، أي السيئة، ويكونُ المرادُ بالسيئةِ الكفرَ، أو يُراد بهم العُصاةُ، ويكونُ أرادَ بالخلودِ المُكْثَ الطويلَ، ثم بعد ذلك يَخْرُجُون)[15].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

كل قراءة بناء على ما ذكره السمين الحلبي تستدعي معنى في سياق الآية، فقراءة الإفراد «خَطِيئَتُهُ» تدل على أن من الخطايا ما يحيط الإنسان إحاطة لا تترك له منفذا للنجاة، ولو كانت خطيئة واحدة كالكفر، أما قراءة الجمع «خطيئاتُهُ» فنفهم أن من الخطايا ما لا يحيط بالإنسان إحاطة تامة، لا تترك له منفذا للنجاة إلا إذا اجتمعت، أو أن «خطيئتُهُ» من إضافة المفرد المعرفة.

4. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (83)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية:

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «حَسَناً» بفتح الحاء والسين، وقرأ عطاء وعيسى بضمهما، وقرأ أبي وطلحة بن مصرف «حُسْنَى»، وقرأ الجحدري «إحسانا»[16].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية: أشار السمين الحلبي في الدر المصون إلى توجيه قراءات «حُسْناً»، إذ يقول: (وقرئ: حَسَناً بفتحتين وحُسُناً بضمتين، وحُسْنى من غير تنوين كحُبْلى، وإحساناً من البراعي. فأمَّا قراءة «حُسْناً» بالضم والإسكان فيَحْتمل أوجهاً:

أحدُها وهو الظاهرُ: أنه مصدرٌ وَقَع صفةً لمحذوفٍ تقديرُه: وقولوا للناسِ قَوْلاً

حُسْناً أي: ذا حُسْن.

الثاني: أن يكونَ وُصِفَ به مبالغةً كأنه جُعِلَ القولُ نفسُه حَسَناً.

الثالث: أنه صفةٌ على وزن فُعْل وليس أصلُه المصدرَ، بل هو كالحُلْو والمُرّ، فيكون بمعنى "حَسَن" بفتحتين، فيكونُ فيه لغتان: حُسْن وحَسَن كالبُخْل والبَخَل، والحُزْن والحَزَن، والعُرْب والعَرَب.

الرابع: أنه منصوبٌ على المصدرِ من المعنى، فإنَّ المعنى: وَلْيَحْسُن قولُكم حُسْناً.

وأمَّا قراءةُ «حَسَناً» بفتحتين –وهي قراءةُ حمزة والكسائي– فصفةٌ لمحذوف، تقديرُه: قولاً حَسَناً كما تقدَّم في أحد أوجه «حُسْناً». وأمَّا «حُسُناً» بضمَّتين فضمةُ السينِ للإتباعِ للحاءِ فهو بمعنى «حُسْناً» بالسكون وفيه الأوجهُ المتقدمةُ.

وأمَّا مَنْ قَرَأَ «حُسْنى» بغير تنوين، فَحُسْنَى مصدرٌ كالبُشْرى والرُّجْعى... وتخريج هذه القراءةِ على وجهين:

أحدُهما: المصدرُ كالبشرى وفيه الأوجهُ المتقدمة في «حُسْناً» مصدراً إلا أنه يَحْتاج إلى إثباتُ «حُسْنى» مصدراً من قولِ العرب: حَسُنَ حُسْنَى، كقولهم: رَجَع رُجْعى، إذ مجيء فُعْلى مصدراً لا يَنْقَاس.

والوجهُ الثاني: أن تكونَ صفةً لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: وقولوا للناس كلمةً حُسْنى أو مقالةً حُسْنى.

وأمَّا مَنْ قرأ «إحساناً» فهو مصدرٌ وَقَع صفةً لمصدرٍ محذوف أي قولاً إحساناً، وفيه التأويلُ المشهورُ، وإحساناً مصدرٌ من أَحْسَن الذي همزتُه للصيرورةِ أي قولاً ذا حُسْنٍ، كما تقولُ: «أَعْشَبَتِ الأرضُ» أي: صارت ذات عشبٍ)[17].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى: المتبادر إلى الذهن من توجيه السمين الحلبي أن القراءة بالفتح «حَسَناً» تدل على صفة القول، أي: أنه قول حسن، فكأنه قول مخصوص وصف بأنه حسن، فما أورده السمين الحلبي في بيان حقيقة هذا القول كله ينطوي تحت صفة الحسن؛ وهذا ما أمر به بنو إسرائيل وأخذ عليهم الميثاق به، ليقولوا للناس قولا حسنا، أي إذا خاطبتموهم ودعوتموهم، فلتكن دعوتكم

لهم بالقول الحسن الجميل المؤثر في نفوسهم وقلوبهم.

والقراءة بالضم والإسكان «حُسْناً» تدل على المصدرية، فهي تدل على أن الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل يلزمهم بأن لا يحدثوا الناس إلا بالحسن المطلق في كل أمر، وهي تدل على وظيفة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف.

ويمكن أن تكون «حُسْناً» بضم الحاء وإسكان السين في الوصف بالمصدر للمبالغة، فتكون دالة على العناية الشديدة بالتلطف في مخاطبة الناس بالقول الحسن، فهي على هذا مثل قراءة «إحسانا»، مع إضافة معنى المبالغة.

5. **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (84-85)**

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ نافع وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب «تُفَادُوهُمْ» بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها، ووافقهم الحسن والمطوعي، وقرأ الباقون «تَفْدُوهم» بفتح التاء وسكون الفاء بلا ألف[18].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية:

يقول السمين الحلبي: (قرأ نافع وعاصم والكسائي: «تُفَادُوهم»[19]، وهو جوابُ الشرطِ فلذلك حُذِفَت نونُ الرفعِ، وهل القراءتان بمعنىً واحدٍ، ويكونُ معنى فاعَلَ مثلَ معنى فَعَل المجرد نحو: عاقَبْت وسافَرْت، أو بينهما فرقٌ؟ خلافٌ مشهورٌ، ثم اختلف الناسُ في ذلك الفرقِ ما هو؟ فقيل: مَعْنَى فَداه أَعْطى فيه فِداءٍ من مالٍ وفاداه أعطى فيه أسيراً مثلَه وأنشد[20]:

ولكنَّني فادَيْت أمِّي بعدما * عَلا الرأسَ منها كَبْرَةٌ ومَشِيبُ

بِعَبْدَيْن مَرْضِيَّيْنِ لم يَكُ فيهما * لَئِنْ عُرِضا للناظِرين مَعِيبُ

وهذا القول يَرُدُّه قولُ العباس ﷺ: (فادَيْت نفسي وفادَيْتَ عَقيلا)[21]، ومعلومٌ أنه لم يُعْطِ أسيرَه في مقابلة نفسِه ولا وَلَدِه، وقيل: «تَفْدُوهم بالصلح وتُفادُوهم بالعنف». وقيل: «تَفْدُوهم تُعْطوا» فِدْيَتَهم، وتُفادوهم تَطْلبون من أعدائِكم فِدْيةَ الأسيرِ الذي في أيديكم، ومنه قول الشاعر:

قفي فادِي أسيرَكِ إنَّ قومي *** وقومَك لا أرى لهمُ اجتماعا

والظاهرُ أن «تُفادهم» على أصله من اثنين، وذلك أن الأسيرَ يعطي المالَ والآسِرَ يعطي الإطلاقَ، وتَفْدُوهم على بابِه من غيرِ مشاركةٍ، وذلك أنَّ أَحدَ الفريقين يَفْدي صاحبه من الآخر بمالٍ أو غيره، فالفعلُ على الحقيقة من واحدٍ، والفداءُ ما يُفْتَدَى به، ... وفَدى وفَادى يتعدَّيان لاثنينِ أحدهما بنفسِه والآخرُ بحرفِ جر تقول: فَدَيْتُ أو فادَيْتُ الأسير بمال، وهو محذوفٌ في الآية الكريمة. قال ابن عطية[22]: «وحَسُنَ لفظ الإتيانِ من حيثُ هو في مقابلةِ الإخراج فيظهرُ التضادُّ المُقْبِحُ لفِعْلِهم في الإخراج»، يعني أنه لا يناسِبُ مَنْ أَسَأْتُمْ إليه بالإخراجِ مِنْ دارِه أَنْ تُحْسِنُوا إليه بالفِداء)[23].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى:

إن القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية الكريمة ينبغي حملها على معنيين متغايرين تبعا لسياقها، إذ أن الآية قد وردت في مقام ذم اليهود وتبكيتهم على مواقفهم المتناقضة مع أنفسهم ومع كتابهم؛ لأنهم أمروا فيه ألا يقتلوا أنفسهم...، فخالفوا ذلك بأن تحالف فريق منهم مع الأوس وآخر مع الخزرج في حروبهم ومنازعاتهم قبل الإسلام، فإذا أسر منهم كان عليهم مع ذلك فداء أسراهم بالمال أو غيره، أو مفاداتهم برد أسرى الأوس والخزرج واسترداد أسراهم، فهم يقاتلون أنفسهم، ثم ينقذون أسراهم، وبناء على ذلك فإن كل قراءة تمثل موقفا من مواقف اليهود مع أسراهم؛ ففريق يفدون أسراهم بالمال أو غيره، وآخرون يفادون أسراهم برد أسير مثله.

6. **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (96)**

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية:

قرأ الجمهور «حياة» نكرة منونة، وقرأها أبي بالألف واللام[24].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية:

يقول السمين الحلبي: (قوله: ﴿عَلَى حَيَاةٍ﴾ متعلِّق بـ«أَحْرَصَ»، لأنَّ هذا الفعلَ يتعدَّى بـ«على»، تقول: حَرَصْتُ عليه. والتنكيرُ في «حياة» تنبيه على أنه أراد حياةً مخصوصةً وهي الحياةُ المتطاولةُ، ولذلك كانت القراءةُ بها أَوْقَعَ مِنْ قراءةِ أُبَيّ «على الحياة» بالتعريفِ. وقيل: إنَّ ذلك على حَذْفِ مضافٍ تقديرُه: على طُولِ حياةٍ، والظاهرُ أنه لا يَحتاج إلى تقدير صفةٍ ولا مضافٍ، بل يكونُ المعنى: أنَّهم أحرصُ الناسِ على مطلقِ حياةٍ. وإنْ قُلْتَ: فكيف وإنْ كَبُرَتْ فيكونُ أَبْلَغَ في وَصْفِهم بذلك)[25].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

قراءة التنكير عند السمين الحلبي أوقع معنى من التعريف؛ لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة، لذلك قدرها على حذف مضاف أو صفة، كما أنه يرى لو لم يقدر حذف لصح المعنى، وهو أن يكون أحرص الناس على مطلق الحياة، ويبدو أن أبلغية التنكير على التعريف التي قال بها السمين الحلبي قد صدر فيها عن فكر الجرجاني إذ قال: (إذا أنتَ راجعتَ نفسَكَ وأذكيْتَ حِسَّك وجدتَ لهذا التنكيرِ وأنْ قِيلَ «على حياة» ولم يَقُلْ على الحياةِ حُسناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يُقَادَرُ قَدْرُه. وتجدُك تَعْدَم ذلك مع التعريفِ وتخرجُ عن الأريحيَّة والأُنْسِ إلى خلافِها... إذْ كانَ التعريفُ يصلحُ حيثُ تُرادُ الحياةُ على الإطلاق كقولنا: كلُّ أحدٍ يحبُّ الحياةَ ويكرهُ الموتَ، كذلك الحكمُ في الآية)[26].

هي إذا تحليلات متداخلة المعنى، مرجعها في الأساس إلى تذوقنا لمقام الكلمة داخل سياقها، وتنكيرها بعد ذلك يفيد النوعية أو التحقير؛ إذ هم –اليهود والذين أشركوا– أحرص الناس على أية حياة، حياة والسلام، لا يهم أن تكون رفيعة أو وضيعة، وهي مع ذلك التحقير غالية عندهم، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ومن ثم ذموا على ذلك؛ لأن الإنسان الصالح لا يريد هذه الحياة إلا إذا كانت رفيعة

صالحة[27].

أما تعريفها فأفاد المعهود عندهم وهو الحياة الدنيا، التي يستدعي ذكرها في الذكر الحكيم، غالبا معاني الحقارة والزوال، فهي إن لم تكن صالحة، متاع الغرور، والدار الآخرة لو كانوا يعلمون، هي الحيوان.

7. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (116)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ ابن عامر وحده «قالوا» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأها الباقون «وقالوا» بالواو[28].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية:

أورد السمين الحلبي أوجه القراءات المتواترة في هذه الآية الكريمة، وأشار إلى حجة كل وجه فقال: (الجمهورُ: «وقالوا» بالواوِ عطفاً لهذِه الجملةِ الخبريةِ على ما قبلَها وهو أحسنُ في الربط. وقيل: هي معطوفةً على قوله: «وسعى» فيكونُ قد عَطَفَ على الصلة مع الفعلِ بهذه الجملِ الكثيرة، وهذا ينبغي أن يُنَزَّه القرآنُ عن مِثْله. وقرأ ابن عامر –وكذلك هي في مصاحف الشام– «قالوا» من غير واوٍ، وذلك يَحْتمل وجهين، أحدُهما: الاستئنافُ. الثاني: حَذْفُ حرفِ العطفِ وهو مرادٌ، استغناء عنه بربطِ الضميرِ بما قبلَ هذه الجملةِ)[29].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

ذهب السمين الحلبي إلى أن حذف الواو في قراءة ابن عامر «قالوا» تجوز من وجهين: (أحدهما: أن الجملة التي هي ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ملابسة بما قبلها من قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (البقرة114)، وممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه جميع المتظاهرين على الإسلام من صنوف الكفار؛ لأنهم بقتالهم المسلمين، وإرادتهم غلبتهم والظهور عليهم ما يَفُونَ[30] لهم في مواضع متعبداتهم... وإذا كان التأويل على هذا فالذين قالوا: اتخذ الله، من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم؛ فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما

قبلها، كما استغني عنها في نحو قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة39). ولو كان «وهم فيها خالدون» كان حسنا، إلا أن التباس إحداهما بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو، ومثل ذلك قوله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف22)، ولم يقل «ورابعهم، كما جاء ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف22).

ولو حذفت الواو كما حذفت من التي قبلها، واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسنا، والوجه الآخر: أن تستأنف الجملة فلا تعطفها على ما تقدم)[31].

وقد رأى السمين الحلبي أن «وقالوا» بإثبات الواو على قراءة الجمهور آكد في الربط، فيكون عطف جملة خبرية على جملة مثلها، وقال: هو عطف على قوله ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، فيكون معطوفا على معطوف الصلة، وفصل بينهما بالجمل الكثيرة، وهذا بعيد جدا، يُنَزَّهُ القرآن عن مثله.

ومع وجاهة مثل هذه التعليلات اللغوية، فإنها ربما تفوّت علينا اعتبار القيمة الحقيقية لتغاير القراءات القرآنية، وهي قيمة نفطن إليها –حسبما نفهمه في اختلاف القراءات– إذ لم يقع التغاير القرائي ههنا للاكتفاء بأحد الوجهين عن الآخر، وإنما في القراءتين استخدام أسلوبين من أساليب التعبير القرآني، وهو من التوسع في الأداء الجمالي الفني، إذ الجملة مع ما قبلها يحسن فيها الوصل ويحسن فيها الفصل، فجاءت القراءتان بهذين الأسلوبين.

8. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (119)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ الجمهور «تُسألُ» مضمومة التاء مرفوعة اللام، وقرأها نافع ويعقوب «تَسألْ» بفتح التاء وجزم اللام[32].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي: قوله: (﴿وَلاَ تُسْأَلُ﴾ قرأ الجمهور: «تُسْأَلُ» مبنياً للمفعول مع رفعِ الفعلِ على النفي. وقُرِىء شاذاً[33]: «تَسْأَلُ» مبنياً للفاعل مرفوعاً أيضاً، وفي هذه الجملةِ وجهان: أحدُهما: أنه حالٌ فيكونُ معطوفاً على الحال قبلها، كأنه قيل:

بشيراً أو نذيراً وغير مسؤول. والثاني: أن تكونَ مستأنفةً. وقرأ نافع «تَسْأَلْ» على النهي وهذا مستأنفٌ فقط، ولا يجوزُ أن تكونَ حالاً؛ لأنَّ الطَلَبَ لا يَقعُ حالاً)[34].

المسألة الثالثة: أثر القراءات القرآنية في المعنى

إن تنوع القراءات في هذه الآية الكريمة يظهر إعجاز القرآن وبيانه، فقراءة جمهور القرّاء تبين للرسول ﷺ أنه غير مسؤول عند الله عن كفر الكافرين الذين سيكونون يوم الدين من أصحاب الجحيم، بعد أن بلغهم رسالة ربه، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة272)، وقوله ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (البقرة99)، ومما يجعل للفظ الخبر مزية على النهي أن الكلام الذي قبله وبعده خبر.

ووجه قراءة نافع بالجزم ما روي من أن النبي ﷺ سأل: أي أبويه أحدث موتا وأراد أن يستغفر له، فأنزل الله الآية، وهذا إذا ثبت معنى صحيح، وقد جوز أبو الحسن في قراءة من جزم أن يكون على تعظيم الأمر، كما تقول: لا تسلني عن كذا، إذا أردت تعظيم الأمر فيه، فالمعنى أنهم في أمر عظيم، وإن كان اللفظ لفظ الأمر[35]، فهذه القراءة إذا تتضمن نهي الرسول ﷺ عن أن يسأل عن أصحاب الجحيم أي سؤال يتعلق بنجاتهم أو تخفيف العذاب عنهم.

فلقد أدرك السمين الحلبي وغيره أن مراعاة المشاكلة اللفظية بين انساق التعبير في الآية الكريمة كان وجها معنويا لقراءتها بالإخبار، وأن هذه العلة ما لبثت أن تغايرت في قراءتها بالنهي، فحُمِلَ تارة على حقيقته باعتبار ما تردد في مناسبة نزولها، ثم حمل أخرى على معناه المجازي وذلك بخروجه إلى معنى تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب.

9. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (125)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ نافع وابن عامر «واتَّخَذُوا» بفتح الخاء على الإخبار، وقرأها الباقون

«وَاتَّخِذُوا» بكسرها على الأمر[36].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قوله: ﴿وَاتَّخِذُواْ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامر: «واتَّخذوا» فعلاً ماضياً على لفظ الخبر، والباقون على لفظِ الأمرِ. فأمَّا قراءةُ الخبرِ ففيها ثلاثةُ أوجهٍ: أحدُها: أنه معطوفٌ على «جَعَلْنا» المخفوض بـ«إذ» تقديراً، فيكون الكلامُ جملةً واحدةً. الثاني: أنه معطوفٌ على مجموعِ قولِه: ﴿وإذ جَعَلْنا﴾، فيحتاجُ إلى تقديرِ «إذ»، أي: وإذ اتخذوا، ويكون الكلامُ جملتين. الثالث: ذكره أبو البقاء[37] أن يكونَ معطوفاً على محذوفٍ تقديرُه: فثابوا واتخذوا.

وأمَّا قراءةُ الأمرِ ففيها أربعةُ أوجهٍ، أحدُها: أنَّها عَطفٌ على «اذكروا» إذا قيل بأنَّ الخطابَ هنا لبني إسرائيل، أي: اذكروا نعمتي واتخذوا. والثاني: أنها عطفٌ على الأمر الذي تَضَمَّنه قولُه: «مثابةً» كأنه قال: ثُوبوا واتَّخِذوا، ذكرَ هذين الوجهين المهدوي. الثالث: أنه معمولٌ لقولٍ محذوفٍ أي: وقُلْنا اتَّخِذوا إن قيل بأنَّ الخطابَ لإبراهيمَ وذرّيَّتِه أو لمحمدٍ عليه السلام وأمَّتِه. الرابع: أن يكونَ مستأنفاً ذكرَه أبو البقاء[38])[39].

المسألة الثالثة: اثر القراءات في المعنى

نلتمس مما ذكره السمين الحلبي أن لكل قراءة وجها من النقل والسياق، إذ رأى أن القراءة بفتح الخاء قد وردت على الخبر عمّن كان قبلنا من المؤمنين، أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده، والتقدير واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم، فكله خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان، فحمل على ما قبله وما بعده ليتَّفِقَ الكلام ويتطابق... وبكسر الخاء على الأمر بأن يُتَّخَذَ من مقام إبراهيم مصلى، وبذلك أتت الروايات عن النبي ﷺ[40].

فكلتا القراءتين تبين لنا أن الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئا، ففعلوا ما أمروا به فأثنى بذلك عليهم وأخبر به، وأنزله في العرضة الثانية[41]، فتكون القراءة بالإخبار عن وقوع الفعل قد تنزلت بعد قراءة الأمر به، وترتبت عليها، فجمع سياق الآية هذين

المعنيين بقراءتيه.

10. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (148)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ جمهور القرّاء «مُوَلّيها» بضم الميم وفتح الواو وكسر اللام مشددة وبَعْدَها ياءُ مدّيَّة، وقرأ ابن عامر «هو مَوْلاها» بفتح الميم وسكون الواو ولام مفتوحة فألف مدّية[42].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي: (وقرأ الجمهورُ: «مُوَلّيها» على أنه اسمُ فاعل، وقد تقدَّم أنه حُذِفَ أحدُ مفعولَيْه، وقرأ ابن عامر -ويُعْزَى لابن عباس- مُوَلاَّها على اسمِ المفعول، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ قائمٌ مقامَ الفاعلِ، والثاني هو الضميرُ المتصلُ به وهو «ها» العائدُ على الوجهة، وقيل: على التوليةِ ذكره أبو البقاء[43]، وعلى هذه القراءةِ يتعيَّن عَوْدُ «هو» إلى الفريق، إذ يَسْتَحِيلُ في المعنى عَوْدُه على الله تعالى)[44].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

إن تنوع القراءات في هذه الآية الكريمة يعد برهانا ظاهرا على بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه في إيجازه، فهذه الآية بقراءة الجمهور «هو مُوَليها»، تدل على أن لكل وجهة هو موجه وجهه إليها في عبادته، وملتزم بها، تمسكا بأحكام دينه الذي تعصب له، ولم يتركه للدين الخاتم الذي جاء به خاتم رسل الله محمد ﷺ، رغم كل البراهين التي جاءهم بها.

وبقراءة ابن عامر «هو مولاها» تدل على أنه هو تابعها وهو ناصرها، وهو متولي أمرها وقائم به، فمن معاني المولى التابع والنصير، وكل من ولي أمرا وقام به فهو مولاه.

11. ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (177)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ حفص وحمزة «ليس البِرَّ» بنصب لفظ البرَّ» وقرأ باقي القراء برفعه[45].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قرأ الجمهور برفع «البر»، وحمزة وحَفْص عن عاصم بنصبه. فقراءةُ الجمهور على أنه اسمُ «ليس»، و «أن تُوَلُّوا» خبرها في تأويلِ مصدرٍ، أي: ليس البرُّ توليتكم. ورُجِّحَتْ هذه القراءةُ من حيث إنه ولي الفعلُ مرفوعَه قبل منصوبِه. وأمّا قراءةُ حمزةَ وحفص فالبرَّ خبرٌ مقدَّمٌ، و«أن تُوَلُّوا» اسمها في تأويلِ مصدرٍ. ورُجِّحَتْ هذه القراءةُ بأنّ المصدر المؤولَ أَعْرَفُ من المُحَلّى بالألفِ واللام، لأنه يُشْبِهُ الضميرَ من حيث إنه لا يُوصَف ولا يُوْصَفُ به، والأعرافُ ينبغي أن يُجْعَلَ الاسمَ، وغيرُ الاعرافِ الخبرَ)[46].

المسألة الثالثة: أثر القراءات القرآنية في المعنى

من يتمعن في نص السمين الحلبي رحمه الله، يجده قد أثبت للقراءتين وجهين نحويين متكافئين يؤديان تكاملا بيانيا، فالقراءتان تصوران لنا حال المقصودين بالخطاب، فمنهم من يناسبهم اعتبار البر هو المسند إليه، والتولي هو المسند، ومنهم من يناسبهم العكس.

12. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (214)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ جمهور القراء «حتى يقولَ» بنصب «يقولَ»، وقرأ نافع «حتى يقولُ» بالرفع[47].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ قرأ الجمهورُ:

«يقولَ» نصباً، وله وجهان، أحدُهما: أنَّ «حتى» بمعنى «إلى»، أي: إلى أن يقولَ، فهو غايةٌ لما تقدَّم من المسّ والزلزالِ، و«حتى» إنما يُنْصَبُ بعدها المضارعُ المستقبلُ، وهذا قد وقع ومَضَى. فالجوابُ: أنه على حكايةِ الحالِ، حكى تلك الحالَ. والثاني: أنَّ "حتى" بمعنى "كي"، فتفيدُ العِلَّةَ، وهذا ضَعيفٌ؛ لأنَّ قولَ الرسول والمؤمنين ليس علةً للمسّ والزلزالِ، وإن كان ظاهرُ كلامِ أبي البقاء[48] على ذلك فإنه قال: «ويُقْرَأ بالرفعِ على أن يكونَ التقديرُ: زُلْزِلُوا فقالوا: فالزَّلْزَلَةُ سببُ القولِ» و«أَنْ» بعد «حتى» مضمرةٌ على كِلا التقديرين. وقرأ نافع برفعِهِ على أنَّه حالٌ، والحالُ لا يُنْصَبُ بعد «حتى» ولا غيرِها، لأنَّ الناصبَ يُخَلِّصُ للاستقبالِ فتَنَافيا.

واعلم أنَّ «حتى» إذا وَقَعَ بعدها فعلٌ: فإمَّا أن يكونَ حالاً أو مستقبلاً أو ماضياً، فإنْ كان حالاً رُفِعَ نحو: «مَرِض حتى لا يَرْجونه» أي في الحال. وإن كان مستقبلاً نُصِبَ، تقول: سِرْتُ حتى أدخلَ البلدَ وأنت لم تدخُلْ بعدُ. وإن كان ماضياً فتحكيه، ثم حكايتُك له: إمَّا أَنْ تَكونَ بحسَب كونِهِ مستقبلاً، فتنصبَه على حكايةِ هذه الحالِ، وإمَّا أن يكونَ بحسَبِ كونِهِ حالاً، فترفَعَهُ على حكايةِ هذه الحالِ، فيصدُقُ أن تقولَ في قراءةِ الجماعةِ: حكايةُ حالٍ، وفي قراءةِ نافع أيضاً: حكايةُ حالٍ. وإنَّما نَبَّهْتُ على ذلك لأنَّ عبارةَ بعضِهم تَخُصُّ حكايةً الحالِ بقراءةِ الجمهورِ، وعبارَةَ آخرين تَخُصُّها بقراءةِ نافع. قال أبو البقاء[49] في قراءةِ الجمهور: «والفعلُ هنا مستقبلٌ حُكِيت به حالُهم والمعنى على المُضِيِّ» وكان قد تقدَّم أنه وجَّه الرفعَ بأنَّ «حتى» للتعليلِ)[50].

المسألة الثالثة: أثر القراءات القرآنية في المعنى

ما ذكره السمين الحلبي في توجيه قراءتي «حتى يقول»، قد ردده كثير من الموجهين[51]، غير أنا نلحظ أن ما تفاوت معناه حقا بهذا التغاير هو «حتى» التي أخلصت الفعل للاستقبال بالنسبة إلى زمن المتكلم، وجعلته غاية للزلزلة على ظاهر وجه النصب؛ أي أن المس بالبأساء والضراء وحدوث الزلزال أمور قد تستمر إلى أن يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ وهذه الصورة قد تقتضيها حكمة الابتلاء.

ثم كانت حرف ابتداء على قراءة الرفع، و«حتى» الابتدائية هذه طالما نحس معها بمعنى الاستعظام والاستغراب؛ لاستبعاد وقوع الفعل بعدها عقلا أو عادة، وذلك للمبالغة في تصوير شدة المحنة على الناس، وتناهيها إلى أقصى غاياتها، حتى هؤلاء الرسل والذين آمنوا معهم، مع صدق عقيدتهم وقوة عزيمتهم قد عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر، فاستبطئوا وعد الله لهم بالنصر[52].

13. ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(219)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية

قرأ جمهور القرّاء «فيهما إثمٌ كبيرٌ» بالباء الموحدة التحتية لـ«كبير»، وقرأ حمزة والكسائي «فيهما إثمٌ كثيرٌ» بالثاء المثلثة لـ«كثير»[53].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قرأ حمزة والكسائي «كثير» بالثاء المثلثة، والباقون بالباء ثانية الحروف، ووجه قراءة الجمهور واضح، وهو أن الإثم يوصف بالكِبَر، ومنه آية ﴿حُوباً كَبِيراً﴾[54]، وسمّيت الموبقات: «الكبائر»، ومنه قوله تعالى ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾[55]، وشرب الخمر والقمار من الكبائر، فناسب وصف إثمهما بالكبر، وقد أجمعت السبعة على قوله ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾، بالباء الموحدة، وهذه توافقها لفظا.

وأما وجه قراءة الأخوين[56]: فإما باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين، فلكل واحد إثم، وإما باعتبار ما يترتب على تعاطيهما من توالي العقاب وتضعيفه، وإما باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأقوال السيئة والأفعال القبيحة، وإما باعتبار من يزاولها من لدن كانت عنبا إلى أن شُربت، فقد لعن رسول الله ﷺ الخمر، ولعن معها عشر: بائعها ومبتاعها، فناسب ذلك أن يوصف إثمها بالكثرة، وأيضا فإن قوله «إثم» مقابل لـ«منافع»، و«منافع» جمع، فناسب أن يوصف مقابلة بمعنى الجمعية وهو الكثرة، وهو الذي ينبغي أن يفعله الإنسان في القرآن، وهو

أن يذكر لكل قراءة توجيها من غير تعرض لتضعيف القراءة الأخرى)[57].

المسألة الثالثة: أثر القراءات في المعنى

إن القراءات القرآنية المتواترة التي ذكرها السمين الحلبي في هذه الآية، تعد شاهدا على بلاغة القرآن الكريم وإيجازه، إذ جمعت هاتان القراءتان جانبي المعنى، وكأن كل قراءة منهما آية مستقلة.

فمعنى قراءة حمزة والكسائي «إثم كثير» من الكثرة، وذلك لأن شرب الخمر يحدث معه آثام كثيرة، أما معنى قراءة الجمهور «إثم كبير» فهو من الكبر والعظم، أي: فيهما إثم عظيم.

وكلا المعنيين يحتملهما سياق الآية، إذ نزلت الآية للتأكيد على تحريم الخمر، وذمها لعظيم إثمها وعقوبتهما، وكذلك لكثرة آثامها.

14. ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (253)

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في الآية

قرأ الجمهور «كلّم اللهُ» بالتشديد ورفع الجلالة، وقرأ ابن ميسرة بالتخفيف ونصب الجلالة «كلم اللهَ»[58].

المسالة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قوله ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، هذه الجملة تحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون لا محل لها من الإعراب لاستئنافها، والثاني: أنها بدلٌ من جملة قوله ﴿فَضَّلْنَا﴾، والجمهور على رفع الجلالة على أنه فاعل، والمفعول محذوف، وهو عائد الموصول، أي: مَنْ كلّمه الله، وقرئ بالنصب على أنّ الفاعل ضمير مستتر، وهو عائد الموصول أيضا، والجلالة نصب على التعظيم)[59].

المسألة الثالثة: أثر القراءات القرآنية في المعنى

من يتمعن في نص السمين الحلبي يجده قد أثبت وجهين نحويين متكافئين يؤديان تكاملا بيانيا للقرائتين، فإن رفع لفظ الجلالة يدل على تمام التفضيل، وتأتّى

هذا من موقعها على الفاعلية، إذ في الرفع دلالة على الحضور والخطاب منه تعالى للمتكلم، أما النصب على المفعولية، فيدل على الحضور دون الخطاب منه[60]، (لأن كل مؤمن فإنه يكلمه الله على ما قال عليه السلام «المصلي مناج ربه»، إنما الشرف في أن يكلمه الله تعالى)[61].

15. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(260).

المسألة الأولى: القراءات القرآنية الواردة في الآية

قرأ الجمهور «فَصُرْهُنَّ» بالضم، وقرأ حمزة وأبو جعفر وخلف «فَصِرْهنَّ» بالكسر[62].

المسألة الثانية: قول السمين الحلبي في هذه الآية:

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: (قوله «فَصُرْهُنَّ» قرأ حمزة بكسر الصاد، والباقون بضمها وتخفيف الراء، واختلف في ذلك، فقيل: القراءتان يحتمل أن تكونا بمعنى واحد، وذلك أنه يقال: صاره يصوره ويصيره، بمعنى قطعه أو أماله، فاللغتان لفظ مشترك بين هذين المعنيين، والقراءتان تحتملهما معا، وهذا مذهب أبي علي[63]، وقال الفراء[64]: «الضم مشترك بين المعنيين، وأما الكسر فمعناه القطع فقط»، وقال غيره: «الكسر بمعنى القطع، والضم بمعنى الإمالة»، ونقل عن الفراء أيضا أنه قال: «صاره» مقلوب من قولهم «صراه عن كذا»، أي: قطعه عنه، ويقال: صرت الشيء فانصار، أي: انقطع، قالت الخنساء[65]:

فلو يلاقي الذي لاقيته حضن[66] *** لظلت الشم منه وهي تنصار

أي: تنقطع... و«إليك» إن قلنا: إن «صُرْهُنَّ» بمعنى أملهن تعلق به، وإن قلنا: إنه بمعنى قَطِّعهنّ تعلق بـ«خذ».

وقرأ ابن عباس: «فَصُرَّهُنَّ» بتشديد الراء مع ضم الصاد وكسرها، من صرّه يصرّه إذا جمعه، إلا أن مجيء المضعف المتعدي على يفعل بكسر العين في

المضارع قليل، ونقل أبو البقاء[67] عمّن شدد الراء أن منهم من يضمها، ومنهم من يفتحها، ومنهم من يكسرها، مثل «مُدَهُنَّ» فالضم على الإتباع، والفتح للتخفيف، والكسر على أصل التقاء الساكنين، ولما فسر أبو البقاء[68] «فَصُرْهُنَّ» بمعنى أملهن قدّر محذوفا بعده تقديره: فأملهن إليك ثم قطعهن، ولما فسره بقطعهن قدر محذوفا بعده، تقديره: فأملهن إليك، ثم قطعهن، ولما فسره بقطعهن قدر محذوفا يتعلق به «إلى» تقديره: قطعهن بعد أن تميلهن إليك)[69].

المسألة الثالثة: أثر القراءات القرآنية في المعنى

الذي يفهم من نص السمين الحلبي –بما نقله عن اللغويين– أن ثمَّ فرقا في المعنى بين القراءتين، وفيهما تكامل فكري، فالآية الكريمة دلت على أن أمر الله سبحانه وتعالى الذي وجهه إلى سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام اشتمل على أمرين: أحدهما: أن يأخذ أربعة من الطير فيمسكهن ويتأكد منهن ليميز كل واحد منهن عن الآخر، والأمر الآخر أن يذبحهن ويمزقهن ويخلطهن ليتيقن من موتهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزءا...

ولو كانت القراءة بوجه واحد لبقي السؤال في النفس عن القسم الآخر، فلو كانت القراءة بالضم فقط «فصُرهن» فإنها تفيد أن الأمر كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام، أن يجمعهن ليتأكد منهن، ولا تجيب عن القسم الآخر، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أمره بذبحهن ليتأكد هو بنفسه عليه السلام من موتهن.

ولو كانت القراءة بالوجه الثاني «فصِرهن» بالكسر، والتي تفيد الذبح والتقطيع، لبقي سؤال في الذهن هل قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح الطيور بنفسه، وتأكد أنها قد فارقت الحياة.

الخاتمة

الحمد لله ملهم الصواب، والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي أنزل عليه الكتاب، وآتاه من لدنه الحكمة وفصل الخطاب، وكلفه أن يبين للناس ما نزّل إليهم... وبعد...

إن القراءات القرآنية المتواترة كلها في مرتبة واحدة من الرفعة، إذ كلها ثابتة

ومتلقاة عن النبي ﷺ، إذ كل وجه من أوجه القراءة هو بمثابة آية مستقلة في تكاملها الفكري، ولا تظهر حقيقة المعاني القرآنية في الآيات الكريمة بكمالها إلا بالجمع بين أوجه القراءات الثابتة عن النبي ﷺ.

فاختلاف القراءات القرآنية الواردة عند السمين الحلبي في الدر المصون، ذات المعاني أو الصور البيانية المختلفة قد تضمنت إثبات وجوه نحوية عربية متكافئة في النص الواحد، لتؤدي كل قراءة معنى لا تؤديه القراءة الأخرى، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات، وتؤدي القراءات المختلفات تكاملا بيانيا وفكريا في المعاني المقصودة جميعا.

الهوامش

(1) ينظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، للذهبي 54/1.

(2) ينظر : مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، للدكتور مهدي أسعد عرار 144-147.

(3) الدر الصمون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: 39/1.

(4) م.ن: 43/1.

(5) مناهل العرفان في علوم القرآن: للزرقاني: 130/1.

(6) النشر في القراءات العشر: لابن الجزري: 51/1.

(7) التحرير والتنوير: لابن عاشور: 54/1.

(8) الدر المصون: 44/1.

(9) ينظر: السبعة في القراءات: لابن مجاهد: 141، الكشف عن وجوه القراءات: لمكي: 227/1، البحر المحيط: لأبي حيان: 60/1.

(10) الدر المصون: 131/1-132.

(11) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: 87/1.

(12) ينظر: السبعة: 153، الكشف: 236/1.

(13) الدر المصون: 295/1.

(14) ينظر: السبعة: 162، الكشف: 249/1، البحر المحيط: 279/1.

(15) الدر المصون: 457/1.

(16) ينظر: السبعة: 162، الكشف: 250/1، البحر المحيط: 284/1-285.

(17) الدر المصون: 466/1-469.

(18) ينظر: السبعة: 163، النشر: 218/2، إتحاف فضلاء البشر: للدمياطي: 402/1.

(19) وقرأ الباقون «تَفْدُوْهُم».

(20) البيتان لنصيب، وهما في ديوانه: 65، اللسان: مادة «فدي».

(21) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: 22/2، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية: 343/1.

(22) ينظر: المحرر الوجيز: 342/1.

(23) الدر المصون: 482/1-484.

(24) ينظر: البحر المحيط: 313/1.

(25) الدر المصون: 11/2.

(26) دلائل الإعجاز: للجرجاني: 228-229.

(27) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: 92/1، ومن بلاغة القرآن: لأحمد بدوي: 28.

(28) ينظر: السبعة: 169.

(29) الدر المصون: 83/2.

(30) يَفون: يبارك، ينظر: اللسان: مادة «فون».

(31) الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي: 202/2-203، وينظر: حجة القراءات: لابن زنجلة: 110-111، المحرر الوجيز: 338/1، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: لأبي شامة الدمشقي: 338.

(32) ينظر: السبعة: 169، النشر: 221/2، إتحاف فضلاء البشر: 141/1.

(33) لم أجد من نسب هذه القراءة.

(34) الدر المصون: 92/2-93.

(35) الحجة للقراء السبعة: 216/2-217.

(36) ينظر: السبعة: 169، الكشف: 263/1، البحر المحيط: 380/1.

(37) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: للعكبري: 62/1.

(38) ينظر: م.ن: 62/1.

(39) الدر المصون: 105/2-106.

(40) ينظر: الكشف: 263/1.

(41) الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه: 87.

(42) ينظر: السبعة: 171، الكشف: 267/1، البحر المحيط: 437/1.

(43) ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن: 68/1.

(44) الدر المصون: 173/2.

(45) ينظر: السبعة: 175، الكشف: 280/1.

(46) الدر المصون: 244/2-245.

(47) ينظر: السبعة: 181، الكشف: 289/1.

(48) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: 91.

(49) ينظر: م.ن: 91/1.

(50) الدر المصون: 382/2-383.

(51) ينظر: معاني القرآن: للأخفش: 127/1-128، معاني القرآن: للزجاج: 285/1-286، الحجة للقراء السبعة: 305/2-307، الحجة في القراءات السبع: 95-96، حجة القراءات: 131-132، مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب: 126/1-127، الكشاف: للزمخشري: 257/1، المحرر الوجيز: 156/2.

(52) ينظر: الكشاف: 256/1-257، البرهان: للزركشي: 272/4-273، في ظلال القرآن: 218/2-219.

(53) ينظر: السبعة: 182، الكشاف: 291/1.

(54) الآية 2 من سورة النساء ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾

(55) الشورى: 37.

(56) أي حمزة والكسائي.

(57) الدر المصون: 407/2-408.

(58) ينظر: الشواذ: لابن خالويه: 15، البحر المحيط: 273/2.

(59) الدر المصون: 536/2.

(60) ينظر: البحر المحيط: 273/2، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي: 322/2.

(61) التفسير الكبير: للرازي: 216/6.

(62) ينظر: السبعة: 190، الكشف: 313/1، البحر المحيط: 300/2، الشواذ: 16.

(63) ينظر: الحجة: 392/2.

(64) ينظر: معاني القرآن: 174/1.

(65) ليس في ديوانها، وهو في: الأضداد: 37، اللسان: مادة «صور»، البحر المحيط: 300/2.

(66) حضن: جبل في نجد.

(67) ينظر: الإملاء: 111/1.

(68) ينظر: م.ن: 111/1.

(69) الدر المصون: 2/575-577.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: لأبي الشامة الدمشقي (ت 665هـ)، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض، نشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1978م.
2. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: للبنا الدمياطي (ت 117هـ)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، نشر عالم الكتب بيروت، ط1، 1987م، وبتصحيح الشيخ علي محمد الضباع، مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر، 1359هـ.
3. الأضداد: لابن الأنباري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960م.
4. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: العكبري (ت 616هـ)، النشر إبراهيم عوض، مصر، 1380هـ-1961م.
5. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1972م.
6. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1392هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.
7. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983م.
8. تفسير البيضاوي، (ت 791هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبوع بهامش الشهاب، دار صادر، بيروت، د.ت.
9. تفسير الفخر الرازي (ت 606هـ)، المشتهر بـ«التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب»، دار الفكر، بيروت، ط3، 1985م.
10. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي (ت 671هـ)، بتصحيح أبي

إسحاق إبراهيم اطفيش، دار الشام، بيروت، د.ت.
11. الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ت 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1990م.
12. حجة القراءات: لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1982م.
13. الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي (ت 377هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1، 1984-1991، والجزء الأول والثاني منه بتحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.
14. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1415هـ-1994م.
15. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ)، تحقيق الشيخ محمود شاكر، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م.
16. ديوان نصيب، تحقيق داود سلوم، بغداد، 1968م.
17. كتاب السبعة في القراءات: لأبي بكر ابن مجاهد (ت 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1980م.
18. في ظلال القرآن: للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ط12، 1406هـ.
19. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، صححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1987م.
20. الكشف عن وجوه القراءات: لمكي بن أبي طالب (ت 437هـ)، تحقيق د. محيي الدين رمضان، دمشق، المجمع العلمي، د.ت.
21. لسان العرب: لابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، د.ت.

22. مباحثات لسانية في ظوهر قرآنية ، للدكتور مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008.
23. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (ت 546هـ)، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، 1975-1991م.
24. مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1988م.
25. معاني القرآن: لأبي زكريا الفراء (ت 207هـ)، تحقيق أحمد يسوف نجاتي، ومحمد علي النجار، ود. عبد الفتاح شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
26. معاني القرآن: للأخفش الأوسط أبي الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215هـ)، تحقيق د. هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م.
27. معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، للذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط ، وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الاولى ، 1404هـ - 1984م.
28. معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تحقيق د. عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.
29. مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.
30. من بلاغة القرآن: للدكتور أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م.
31. النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت 833هـ)، بتصحيح الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.